

مُعْضَلَةُ الثَّالُوثِ
المحاضرة ٣: الجدالات الأولى
أ.ر. سي. سرول

سَنَتَابِعُ الْآنَ دِرَاسَتَنَا لِلْمَفْهُومِ الْمَسِيحِيِّ لِلثَّالُوثِ. وَإِنْ كُنْتُمْ تَذْكُرُونَ، فِي نَهَايَةِ مُحَاضَرَتِنَا السَّابِقَةِ أَلْقَيْنَا نَظْرَةً عَلَى مُقَدِّمَةِ إِنْجِيلِ يُوْحَنَّا، وَذَكَرْتُ لَكُمْ أَنَّ مَفْهُومَهُ عَنِ أَنَّ اللُّوجُوسَ الْإِلَهِيَّ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْذُ الْأَزَلِ مَعَ أَنَّهُ هُوَ اللَّهُ، كَانَ مَجُورَ النَّبْحِ وَالتَّحْقِيقِ الْفِكْرِيِّ فِي فِكْرِ الْكَنِيسَةِ الْمَسِيحِيَّةِ فِي الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ الْأُولَى. وَمَا يُعْرَفُ بِكْرِيسْتُولُوجِيَا اللُّوجُوسِ هَيْمَنْ عَلَى تَأْمَلَاتِ الْكَنِيسَةِ الْأُولَى. وَلَمْ تَوَلِّ جَمِيعُ تِلْكَ التَّأْمَلَاتِ إِلَى نَهَايَةِ جَيِّدَةٍ. فَالْبَعْضُ مِنْهَا تَحَوَّلَ إِلَى مَا عُرِفَ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْهَرْطَقَةِ وَتَشْوِيهِ النَّظَرَةِ الْكِتَابِيَّةِ لِلْمَسِيحِ، مَا دَفَعَ الْكَنِيسَةَ إِلَى تَحْدِيدِ مَفْهُومِهَا لِلثَّالُوثِ بِطَرِيقَةٍ رَسْمِيَّةٍ. وَمُعْظَمُ الْجَمَاعَاتِ الْمَسِيحِيَّةِ لَا تَرَالُ تُؤَيِّدُ تَأْكِدَاتِ مَا يُعْرَفُ بِالْمَجَامِعِ الْمَسْكُونِيَّةِ فِي تَارِيخِ الْكَنِيسَةِ، وَأَهْمُهَا مَجْمَعُ نِيَقِيَّةِ فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ، وَمَجْمَعُ خَلْفِيدُونِيَّةِ فِي الْقَرْنِ الْخَامِسِ.

إِذَا، أُرِيدُ تَكْرِيسَ بَعْضِ الْوَقْتِ الْيَوْمَ لِلتَّأْمَلِ فِي الْمَسَائِلِ الَّتِي أَثَارَتِ الْجَدَلَ الَّذِي جَعَلَ تِلْكَ الْمَجَامِعَ صَرُورِيَّةً لِلْكَنِيسَةِ الْمَسِيحِيَّةِ عِبْرَ التَّارِيخِ. كَمَا قُلْتُ فِي الْبِدَايَةِ، فِي الْقَرْنَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ رَكَزَتِ التَّأْمَلَاتُ عَلَى مَفْهُومِ اللُّوجُوسِ الْأَزَلِيِّ. وَالتَّوَثُّرُ الْمُسْتَمِرُّ الَّذِي كَانَ قَائِمًا دَائِمًا كَانَ يَتَعَلَّقُ بِكَيْفِيَّةِ رَبْطِ التَّأْكِيدِ عَلَى أُلُوهِيَّةِ الْمَسِيحِ، بِشَكْلِ خَاصٍّ - وَأَيْضًا الرُّوحِ الْقُدُّوسِ، وَإِنَّمَا أُلُوهِيَّةُ الْمَسِيحِ بِشَكْلِ خَاصٍّ - بِمَفْهُومِ الْإِيمَانِ بِإِلَهٍ وَاحِدٍ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. إِذَا، هَذَا التَّوَثُّرُ هُوَ مَا دَفَعَ إِلَى وَضْعِ عَقِيدَةِ الثَّالُوثِ.

إِذَا، السُّؤَالُ هُوَ "كَيْفَ نَفْهَمُ طَبِيعَةَ هَذَا الْإِلَهِ الْمُثَلَّثِ الْأَقَانِيمِ؟" وَمَا ظَهَرَ تَارِيحِيًّا فِي الْقَرْنَيْنِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ هُوَ ظُهُورُ "الْمُونَارِكِيَّةِ"، (أَوْ مَذْهَبِ الْمَلِكِيَّةِ). هَذَا الْمُصْطَلَحُ لَيْسَ مَأْلُوفًا لَدَى الْجَمِيعِ، إِنَّهُ مُصْطَلَحٌ لَاهُوتِيٌّ لَعَبَ دَوْرًا مَهْمًا فِي تَارِيخِ الْكَنِيسَةِ. لَكِنَّا نَعْرِفُ جَيِّدًا جُزْءًا مِنَ الْمُصْطَلَحِ، أَيِ كَلِمَةِ "مُونَارِكِيَّةِ"، (أَيِ مَلِكِيَّةِ). عِنْدَمَا نَفَكَّرُ فِي الْمَلِكِ، فَإِنَّا نَفَكَّرُ فِي حَاكِمِ أُمَّةٍ، هُوَ إِمَامٌ مَلِكٌ أَوْ مَلِكَةٌ. وَفِكْرَةُ الْ"مُونَارِكِيَّةِ" (أَوْ الْمَلِكِيَّةِ) تَأْتِي مِنَ الْبَادِئَةِ "مُونُو"، وَمَعْنَاهَا "وَاحِدٌ". وَالْكَلِمَةُ الْيُونَانِيَّةُ "آرْكَاي" الَّتِي تَعْنِي "الْبَدءَ أَوْ الرَّئِيسَ أَوْ الْحَاكِمَ". سَبَقَ أَنْ رَأَيْنَا ذَلِكَ فِي سِيَاقَاتٍ أُخْرَى، فِي الْوَاقِعِ، فِي بَدَايَةِ إِنْجِيلِ يُوْحَنَّا حِينَ يَقُولُ يُوْحَنَّا "فِي الْبَدءِ كَانَ الْكَلِمَةُ". جَاءَ فِي اللُّغَةِ الْيُونَانِيَّةِ "إِبْنُ آرْكَاي"، وَرَدَّتِ الْكَلِمَةُ نَفْسُهَا "آرْكَاي". لَكِنِ أَيْضًا، كَلِمَةُ "آرْكَاي"، إِلَى جَانِبِ كَوْنِهَا تَعْنِي "الْبَدءَ"، يُمَكِّنُ أَنْ تَعْنِي "رَئِيسًا أَوْ حَاكِمًا". وَسَبَقَ أَنْ رَأَيْنَا ذَلِكَ فِي سِلْسِلَةٍ أُخْرَى. لَقَدْ أَعَدَدْنَا سِلْسِلَةً عَنِ الْمَلَائِكَةِ مُؤَخَّرًا تَكَلَّمْنَا فِيهَا عَنِ "آرْكَ أَيْنْجِيلِز"، (أَيِ رُؤَسَاءِ الْمَلَائِكَةِ)، وَ"آرْكَايْتِكُنْس" (أَيِ الْمُهَنْدِسِينَ)، وَ"آرْشُ أَنْبِيْمِيز" (أَيِ أَلَدِ الْأَعْدَاءِ)، وَ"آرْشُ بِيَشُوبِز"، (أَيِ رُؤَسَاءِ الْأَسَاقِفَةِ). تَتَضَمَّنُ هَذِهِ الْمُصْطَلَحَاتُ كُلُّهَا الْبَادِئَةَ "آرْشُ" الَّتِي تَمَّ اقْتِبَاسُهَا مِنَ الْكَلِمَةِ الْيُونَانِيَّةِ نَفْسِهَا، وَالَّتِي

تَعْنِي "رَبِّيس". وَبِالتَّالِي رَّبِّيسُ الْأَسَاقِفَةِ هُوَ "أَرْتَشُ بِيشوب"، الْمَلَاكُ الرَّبِّيسُ أَوْ الْمَلَاكُ الْحَاكِمُ هُوَ "أَرَكُ آيْنَجِيل"، إِلَى آخِرِهِ. إِنَّهَا الْكَلِمَةُ نَفْسَهَا.

إِذَا، مَذْهَبُ الْمَلَكِيَّةِ الْإِلَهِيَّةِ كَانَ مُحَاوَلَةً عَبْرَ التَّارِيخِ لِصَوْنِ وَحْدَةِ اللَّهِ، لَا سِيَّمَا الْإِيمَانَ بِاللَّهِ وَاحِدٍ. لَكِنَّهَا أَحْيَانًا، وَكَمَا ذَكَرْتُ، انْحَرَفَتْ عَنِ مَسَارِهَا وَوَلَدَتْ مَشَاكِلَ عِدَّةً. أَوَّلُ هَرْطَقَةٍ كَبِيرَةٍ كَانَ عَلَى الْكَنِيسَةِ مُوَاهَجَتُهَا فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِمَذْهَبِ الْمُونَارِكِيَّةِ كَانَتْ تُدْعَى "الشَّكْلَانِيَّةُ"، مَذْهَبُ الْمَلَكِيَّةِ الشَّكْلَانِيَّةِ. يَصْعُبُ نَطْقُ ذَلِكَ. رَبِّمَا لَمْ تَسْمَعُوا بِمَذْهَبِ الْمَلَكِيَّةِ مِنْ قَبْلُ. وَالآنَ نَحْنُ نَجْعَلُ الْأَمْرَ أَكْثَرَ تَعْقِيدًا عَبْرَ إِضَافَةِ الْعِبَارَةِ الْوُضُفِيَّةِ "الشَّكْلَانِيَّةُ". لَكِنَّ مَاذَا تَعْنِي هَذِهِ الْعِبَارَةُ؟

فِي الْقَرْنِ الثَّانِي، هَدَدَ الْكَنِيسَةِ طُهورٌ مُهَرِّطِيْنَ يُعْرَفُونَ بِالْعُنُوسِيِّينَ. وَمِنْ دُونِ الدُّخُولِ فِي تَفَاصِيلِ الْعُنُوسِيَّةِ، كَانَ الْعُنُوسِيُّونَ يَمْلِكُونَ نَظْرَةً لِلَّهِ وَنَظْرَةً لِلْوَاقِعِ عَلَى تَصَادُمٍ مَعَ الْمَسِيحِيَّةِ. تَمَّ تَنْفِيحُ هَذِهِ لَاحِقًا مِنْ خِلَالِ وَضْعِ فَلَسَفَةِ تُعْرَفُ بِالـ"أَفْلَاطُونِيَّةِ الْجَدِيدَةِ"، لَا سِيَّمَا عَلَى يَدِ الْمُحَظِّطِ الرَّبِّيسِيِّ لَهَا وَهُوَ "أَفْلُوطِين". لَكِنَّ فِكْرَةَ الشَّكْلَانِيَّةِ هِيَ بِبَسَاطَةٍ كَالآتِي: كُلُّ مَا هُوَ مَوْجُودٌ فِعْلِيًّا، ابْتِدَاءً مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَوُضُولًا إِلَى الصُّخُورِ، كُلُّ مَا هُوَ مَوْجُودٌ فِعْلِيًّا يُظْهِرُ شَكْلًا مُعَيَّنًا وَخَاصًّا مِنْ أَشْكَالِ كِيَانِ اللَّهِ. مَذْهَبُ وَحْدَةِ الْوُجُودِ يَنْطَوِي عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا. لَكِنَّ الْفِكْرَةَ هِيَ كَالآتِي: عِنْدَ الْقِمَّةِ أَوْ فِي قَلْبِ الْوَاقِعِ يُوْجَدُ كِيَانٌ وَاحِدٌ، أَوْ جَوْهَرٌ كِيَانِ اللَّهِ. وَأَنْطِلَاقًا مِنْ كِيَانِ اللَّهِ، تَظْهَرُ بِشَكْلِ سَرْمَدِيٍّ وَبِحُكْمِ الضَّرُورَةِ انْتِثَاقَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ آتِيَةٌ مِنَ الْمَرْكَزِ.

يُمْكِنُ تَشْبِيهُ ذَلِكَ بِدَوَائِرٍ مُتْرَاكِزَةٍ تَنْطَلِقُ مِنَ الْوَسْطِ، كَمَا حِينَ تَرْمُونَ حَصَى فِي الْبِرْكَةِ وَتَرَوْنَ تَمُوجَاتٍ نَابِعَةً مِنَ الْمَرْكَزِ فِي جَمِيعِ الْاِتِّجَاهَاتِ. وَتِلْكَ حَالَتُنَا أَنْتُمْ كُلَّمَا ابْتَعَدْتُمْ عَنِ الْمَكَانِ حَيْثُ تَمَّ رَمِي الْحَصَى فِي الْمِيَاهِ قَلَّ التَّمُوجُ، إِلَى أَنْ تَعْجَزَ عَنِ تَمْيِيزِ الْحَرَكَةِ بَعْدَ فِتْرَةٍ. وَنَظَرِيَّةُ الْفَيْضِ هَذِهِ تُفِيدُ بِأَنَّ الْوَاقِعَ كُلَّهُ عِبَارَةٌ عَنِ تَجَلُّ لِكِيَانِ اللَّهِ. وَنُمَيِّزُ مُسْتَوِيَاتٍ مُخْتَلِفَةً: الْمُسْتَوَى الرَّوْحِيَّ، وَالْمُسْتَوَى الْفِكْرِيَّ، وَالْمُسْتَوَى النَّفْسِيَّ، إِلَى آخِرِهِ، وَوُضُولًا إِلَى الْمَادَّةِ مِثْلِ الصُّخُورِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ. وَحَتَّى الصُّخُورُ تُشَكِّلُ جُزْءًا مِنَ الْوَاحِدِ، وَهِيَ تَتَشَارَكُ الْكِيَانَ نَفْسَهُ مَعَ الْوَاحِدِ، بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهَا مُسْتَوَى أَدْنَى، أَوْ شَكْلٌ أَدْنَى لِلْكَائِنِ الْأَسْمَى. لَكِنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَبْقَى مُنْفَصِلًا عَنِ الْوَاحِدِ.

الْقَائِدُ الرَّبِّيسِيُّ فِي الْقَرْنِ الثَّالِثِ لِهَذَا التَّشْبِيهِ الْمَعْرُوفِ بِمَذْهَبِ الْمَلَكِيَّةِ الشَّكْلَانِيَّةِ، كَانَ رَجُلًا يُدْعَى "سَايْلِيُوس". اسْتَحْدَمَ سَايْلِيُوسٌ مَثَلًا تَوْضِيحِيًّا لِلتَّعْبِيرِ عَمَّا كَانَ يُعَلِّمُهُ فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِفِكْرَةِ الشَّكْلَانِيَّةِ. وَالتَّشْبِيهِ الَّذِي اسْتَحْدَمَهُ يَتَعَلَّقُ بِالشَّمْسِ وَأَشْعَتِهَا. هَذَا أَمْرٌ نَحْتَبِرُهُ كُلَّ يَوْمٍ. نَحْنُ نُمَيِّزُ فِي لُغَتِنَا الشَّائِعَةَ بَيْنَ الشَّمْسِ وَأَشْعَتِهَا. أَحْيَانًا نَنْظُرُ مِنْ حَوْلِنَا وَنَرَى الشَّمْسَ سَاطِعَةً عَبْرَ النَّافِذَةِ، وَيَبْدُو كَمَا لَوْ أَنَّكَ تَسْتَطِيعُ تَعْبِئَةَ الْأَشْعَةِ، وَتَسْأَلُ "مَا هَذَا؟" فَجُحِيبُ: "هَذَا ضَوْءُ الشَّمْسِ"، "وَأَيْنَ هِيَ الشَّمْسُ؟" الشَّمْسُ تَقَعُ عَلَى بُعْدِ ٩٣ مِليُونِ مِيلٍ. لَكِنَّ هَذَا الضَّوْءَ الَّذِي يَصِلُ إِلَيْنَا مِنْ

الشمس هُوَ جُزءٌ مِنَ الشَّمْسِ، إِنَّهُ الشُّعَاعُ الْمُنْبَثِقُ مِنَ الشَّمْسِ، وَالنُّورُ الْمُنْبَثِقُ مِنَ الشَّمْسِ. وَبِحَسَبِ سَابِيلْيُوسَ، هَذِهِ الْأَشْعَةُ تُشَارِكُ الشَّمْسَ فِي طَبِيعَتِهَا. فِي الْوَاقِعِ، إِنَّهَا تَحْمِلُ الْجَوْهَرَ نَفْسَهُ كَمَا الشَّمْسُ، وَهِيَ خَارِجَةٌ مِنْ صَمِيمِ الشَّمْسِ. إِذَا، سَابِيلْيُوسَ، وَفِي إِطَارِ شَرْحِهِ لِلْعَلَاقَةِ بَيْنَ اللَّهِ الْآبِ وَاللَّهِ الْإِبْنِ، قَالَ إِنَّ الْمَسِيحَ يُشْبِهُ شُعَاعَ الشَّمْسِ. إِنَّهُ مُنْبَثِقٌ مِنَ الْآبِ، إِنَّهُ أَدْنَى مُسْتَوَى مِنَ الْآبِ، لَكِنَّهُ يُشَارِكُ الْآبَ فِي الْجَوْهَرِ. إِنَّهُ شَرِيكٌ فِي الْأُلُوْهِيَّةِ، لَكِنَّ هَذِهِ هِيَ حَالُ الْحِجَارَةِ أَيْضًا.

إِذَا، هُوَ اسْتَعْمَلَ كَلِمَةً لِتَحْدِيدِ الْعَلَاقَةِ بَيْنَ الْآبِ وَالْإِبْنِ، وَهِيَ عَلَى الْأَرْجَحِ الْكَلِمَةُ الْأَكْثَرُ إِثَارَةً لِلْجَدَلِ عَلَى الْإِطْلَاقِ فِي تَارِيخِ الْكَنِيسَةِ. الْكَلِمَةُ هِيَ "هُومُو أُوسِيُوسَ"، وَهِيَ كَلِمَةٌ يُونَانِيَّةٌ. وَكَلِمَةُ "أُوسِيُوسَ"، إِنْ كُنْتُمْ مُلَمِّينَ بِاللُّغَةِ الْيُونَانِيَّةِ فَإِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْمُصْطَلَحَ "أُوسِيُوسَ" هُوَ مُصَدَّرُ الْفِعْلِ "كَانَ". وَالآنَ دَعُونِي أُجْرِي لَكُمْ مُسَابَقَةً فِي اللُّغَةِ وَالتَّحْوِ، حَتَّى وَإِنْ كُنْتُمْ لَا تُحِيدُونَ الْيُونَانِيَّةَ. مَا هُوَ مُصَدَّرُ الْفِعْلِ "كَانَ" فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ؟ تَمَامًا! "كِيَانٌ"، "كِيَانٌ". إِذَا، الْفِكْرَةُ فِي جَذْرِ كَلِمَةِ "هُومُو أُوسِيُوسَ" هِيَ أَنَّ "أُوسِيُوسَ" تَعْنِي "كِيَانٌ"، وَالْبَادِئَةُ "هُومُو" تَعْنِي "نَفْسَهُ". نَحْنُ نَقُولُ إِنَّ الْأَشْيَاءَ "هُومُوْجِيْنِيُوسَ" (أَيُّ مُتَجَانِسَةٍ)، وَبِالتَّالِي "هُومُو أُوسِيُوسَ" تَعْنِي "الْكِيَانِ نَفْسَهُ أَوِ الْجَوْهَرَ نَفْسَهُ".

وَالآنَ، بَدَأْتُمْ تَرَوْنَ جُزءًا مِنْ سَبَبِ تَأْكِيدِ الصِّيغَةِ الْكَلَّاسِيكِيَّةِ لِلتَّالُوْثِ عَلَى أَنَّهُ مُنْذُ الْبَدْءِ، اللَّهُ وَاحِدٌ فِي الْجَوْهَرِ أَوْ وَاحِدٌ فِي الْكِيَانِ، لَكِنَّهُ ثَلَاثَةٌ أَقَانِيمَ. إِذَا، كَانَ سَابِيلْيُوسَ يَقُولُ: "أَنَا أَعْتَقِدُ أَنَّهُ يُوجَدُ تَشَابُهٌ فِي الْكِيَانِ بَيْنَ اللَّهِ الْآبِ وَاللَّهِ الْإِبْنِ، لَكِنَّ اللَّهَ الْإِبْنَ لَيْسَ مُسَاوِيًا لِلَّهِ الْآبِ، لِأَنَّهُ أَدْنَى مِنْهُ مِنْ حَيْثُ الْكِيَانِ، كَمَا أَنَّ شُعَاعَ الشَّمْسِ أَدْنَى مِنْ مَرَكِّزِ الشَّمْسِ". أَرْجُو أَنَّنَا نَفْهَمُ ذَلِكَ.

إِنَّ فِكْرَةَ الْمَلِكِيَّةِ الشَّكْلَانِيَّةِ - وَالَّتِي تَعْنِي أَنَّ الْمَسِيحَ شَكْلٌ مِنْ أَشْكَالِ كِيَانِ الْآبِ - تَمَّ اعْتِبَارُهَا هَرْطَقَةً فِي الْقَرْنِ الثَّالِثِ فِي أَنْطَاكِيَّةِ. وَهَلْ مِنْ أَحَدٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُحَمِّنَ السَّنَةَ؟ هَلْ مِنْ أَحَدٍ فِي هَذَا الْفَصْلِ يَعْرِفُ السَّنَةَ الَّتِي آدَانْتُ فِيهَا أَنْطَاكِيَّةُ سَابِيلْيُوسَ وَمَذْهَبُ الْمَلِكِيَّةِ الشَّكْلَانِيَّةِ؟ حَاوِلُوا أَنْ تَحْزَرُوا. حَاوِلُوا أَنْ تُفَكِّرُوا. كَانَ ذَلِكَ فِي الْقَرْنِ الثَّالِثِ.

عام ٢٦٧.

شُكْرًا جَزِيلًا، عام ٢٦٧. ظَلَنْتُ أَنْكُمْ رَبَّمَا كُنْتُمْ تَتَسَاءَلُونَ لِمَاذَا دَوَّنتُ هَذَا الرَّفْمَ عَلَى السُّبُورَةِ. ظَنَّ أَحَدُهُمْ أَنَّ هَذَا الرَّفْمَ يُمَثِّلُ نَتِيجَةَ الْبُولِينْجِ لَدَى أَحَدِهِمْ أَوْ مَا شَابَهُ. لَكِنَّ لَا، إِنَّهَا السَّنَةُ الَّتِي تَمَّتْ فِيهَا إِدَانَةُ سَابِيلْيُوسَ.

هَذَا مُهِمٌّ، لِأَنَّهُ بَعْدَ إِدَانَةِ سَابِيلْيُوسَ، وَبَعْدَ أَنْ رَفَضَتِ الْكَنِيسَةُ الْكَلِمَةَ الْمُثِيرَةَ لِلْجَدَلِ "هُومُو أُوسِيُوسَ"، اسْتَبَدَلَتِ الْكَنِيسَةُ كَلِمَةَ "هُومُو أُوسِيُوسَ" بِكَلِمَةِ "هُومُوِي". لَيْسَ "هَانُوِي" بَلْ "هُومُوِي أُوسِيُوسَ". تَحْمِلُ الْكَلِمَتَانِ الْجَذْرَ نَفْسَهُ

"أوسبوس"، لَكِنَّ الْبَادِئَةَ تَحَوَّلَتْ مِنْ "هُومُو" إِلَى "هُومُوِي". وَالْفَرْقُ فِي اللَّغَةِ الْيُونَانِيَّةِ هُوَ كَالآتِي: إِنَّهُ الْفَرْقُ بَيْنَ "الْكِيَانِ نَفْسِهِ" وَ"كِيَانٍ مُشَابِهِ". إِذَا، رَفَضْتَ الْكَيْسِيَّةَ فِكْرَةَ سَابِيلْيُوسَ بِاعْتِبَارِهَا هَرْطَقَةً، الْفِكْرَةَ الْقَائِلَةَ بِأَنَّ اللَّهَ الْآبَ وَاللَّهُ الْابْنَ يَتَمَتَّعَانِ بِالْجُوهَرِ نَفْسِهِ، لِأَنَّهَا تَرَفُضُ مَفْهُومَ الشَّكْلَانِيَّةِ فِي الْفَلْسَفَةِ الْكَامِنَةِ وَرَاءَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ. إِذَا، تَقُولُ الْكَيْسِيَّةُ "لا، لا نُرِيدُ الْقَوْلَ إِنَّهُمَا يَمْلِكَانِ الْجُوهَرَ نَفْسَهُ، لِأَنَّ هَذَا يُوقِعُنَا فِي مَذْهَبِ وَحْدَةِ الْوُجُودِ الَّذِي نُرِيدُ تَجَنُّبَهُ، وَقَالُوا "يَجِبُ الْقَوْلُ إِنَّهُ يُوجَدُ تَشَابُهُ أَوْ تَمَاطُلٌ فِي كِيَانِ الْمَسِيحِ وَكِيَانِ الْآبِ". إِذَا، أَصْبَحَتْ هَذِهِ كَلِمَةُ الْعَقِيدَةِ الْقَوِيْمَةِ لِبَقِيَّةِ الْقَرْنِ الثَّالِثِ، فِي حِينِ تَمَّ اعْتِبَارُ أَتْبَاعِ سَابِيلْيُوسَ مُهْرَظِقِينَ.

لَكِنَّ بَعْدَ حُدُوثِ ذَلِكَ، ظَهَرَ نَوْعٌ آخَرُ مِنْ مَذْهَبِ الْمَلِكِيَّةِ. وَهَذَا النَّوْعُ الْآخَرُ مِنَ الْمَلِكِيَّةِ كَانَ يُدْعَى الْمَلِكِيَّةَ الدِّيْنَامِيكِيَّةَ. وَوَجْهُ الْاِخْتِلَافِ، أَوْ الْفَرْقُ بَيْنَ الْمَلِكِيَّةِ الشَّكْلَانِيَّةِ وَالْمَلِكِيَّةِ الدِّيْنَامِيكِيَّةِ، هُوَ أَنَّهُ فِي الْمَلِكِيَّةِ الدِّيْنَامِيكِيَّةِ مُحَظَّظَ الْاِنْثِاقِ الَّذِي كَانَ مَوْجُودًا فِي الْأَفْلَاطُونِيَّةِ الْجَدِيدَةِ أَوْ فِي الْغُنُوسِيَّةِ، تَمَّ رَفْضُهُ. وَكَانَ مَذْهَبُ الْمَلِكِيَّةِ الدِّيْنَامِيكِيَّةِ مُلْتَزِمًا بِالْحِفَاطِ عَلَى الْإِيْمَانِ بِإِلَهِ وَاحِدٍ. فِي حِينِ أَنَّهُ، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ، يُعْطِي إِكْرَامًا وَأَهْمِيَّةً مَحُورِيَّةً لِشَخْصِ الْمَسِيحِ.

نَشَرَ هَذِهِ النَّظْرَةَ أَشْخَاصٌ ظَهَرُوا فِي مَنْطِقَةِ أَنْطَاكِيَّةَ، وَمُعَلِّمُونَ مِثْلُ بُولَسِ السَّامُوسَاطِي وَعَظِيمِهِ. لَكِنَّ أَكْثَرَ مَنْ نَشَرَهَا هُوَ الْمُتَحَدِّثُ الرَّئِيسِيُّ بِاسْمِهَا وَهُوَ أَرْيُوسُ. وَيُعْرَفُ أَرْيُوسُ بِأَنَّهُ أَبُو الْأَرْيُوسِيَّةِ. يَجِبُ عَدَمُ الْخَلْطِ بَيْنَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ وَكَلِمَةٍ أُخْرَى مُرْتَبِطَةٌ بِأَدُولْفِ هِثْلرِ وَالْبَطُولَةِ الْبِيُولُوجِيَّةِ النَّازِيَّةِ. وَإِنَّمَا تَسْمِيَةُ "أَرْيُوسِيَّةٌ" مُقْتَبَسَةٌ مِنْ اسْمِ هَذَا الرَّجُلِ أَرْيُوسُ، الَّذِي كَانَ الْمُتَحَدِّثُ الرَّئِيسِيُّ بِاسْمِ مَذْهَبِ الْمَلِكِيَّةِ الدِّيْنَامِيكِيَّةِ.

أَحْيَانًا تُسَمَّى نَظْرَتُهُ "كْرِيَسْتُولُوجِيَا التَّبَيُّ". وَالسَّبَبُ هُوَ الْآتِي: فِي الْبَدءِ، وَقَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ الْكُونَ، يَكْرُ الْخَلِيقَةَ، يَكْرُ اللَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ أَوْ اللُّوجُوسُ. أَوَّلُ مَا خَلَقَهُ اللَّهُ هُوَ اللُّوجُوسُ. ثُمَّ خَلَقَ اللُّوجُوسُ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ الْآخَرَى. وَبِالْتَّالِي، اللُّوجُوسُ أَسْمَى مِنَ الْمَلَايِكَةِ، وَأَسْمَى مِنَ الْبَشَرِ، إِنَّهُ هُوَ مَنْ خَلَقَ الْعَالَمَ. هُوَ الْخَالِقُ، وَهُوَ سَابِقٌ لِلْعَالَمِ، هُوَ مَوْجُودٌ قَبْلَ بَقِيَّةِ الْكُونَ، لَكِنَّهُ لَيْسَ أَرْلِيًّا. وَبِمَا أَنَّهُ لَيْسَ أَرْلِيًّا، فَهُوَ غَيْرُ مُسَاوٍ لِلَّهِ. إِذَا، اللُّوجُوسُ أَقْلٌ شَأْنًا مِنَ اللَّهِ لَكِنَّهُ أَعْظَمُ مِنَ الْإِنْسَانِ. وَاللُّوجُوسُ هُوَ مَنْ تَجَسَّدَ عَبرَ التَّارِيخِ فِي شَخْصِ يَسُوعَ. وَبِالْتَّالِي، اللُّوجُوسُ بِالطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ أَصْبَحَ مُطِيعًا لِلْآبِ، وَأَصْبَحَ وَاحِدًا مَعَ الْآبِ، أَيُّ أَنَّهُ كَانَ مَعَهُ عَلَى الْمُسْتَوَى نَفْسِهِ وَكَانَ يَسْعَى إِلَى تَنْمِيمِ الْمُهْمَةِ نَفْسِهَا، وَكَانَ مُلْتَزِمًا بِالْأَهْدَافِ نَفْسِهَا كَمَا الْآبِ. وَنَظَرًا لِطَاعَتِهِ، "تَبَّنَاهُ" الْآبُ، فَاصْبَحَ ابْنُ الْآبِ. وَبِالْتَّالِي، تَسْمِيَةُ الْمَسِيحِ ابْنَ اللَّهِ صَحِيحَةٌ، لَكِنَّهُ يُصْبِحُ ابْنَ اللَّهِ بِشَكْلِ دِيْنَامِيكِيٍّ. نَمَّةٌ تَغْيِيرٌ، هُوَ لَمْ يَكُنْ دَائِمًا ابْنَ اللَّهِ، لَكِنَّهُ اِكْتَسَبَ الْبُنُوَّةَ فِعْلِيًّا. لَكِنَّ حَتَّى فِي هَذِهِ الْحَالَةِ، نَحْنُ نَتَكَلَّمُ عَنْ أَكْثَرِ الْمَخْلُوقَاتِ تَسَامِيًا، الَّذِي يَظَلُّ مَخْلُوقًا.

لِلدِّفَاعِ عَنْ نَظَرَتِهِ، لِحَا أَرِيُوسُ إِلَى الْكَلِمَةِ الَّتِي اسْتَعْمَلَتْهَا الْكَنِيسَةُ فِي أَنْطَاكِيَّةَ فِي الْعَامِ ٢٦٧، حِينَ قَالَ: "أَنَا أُؤْمِنُ بِأَنَّ الْمَسِيحَ هُوَ "هُومُوي أوسوس". إِنَّهُ مِثْلُ اللَّهِ، وَهُوَ رَسْمُ جَوْهَرِهِ، إِنَّهُ بَهَاءُ مَجْدِهِ كَمَا فِي رِسَالَةِ الْعِبْرَانِيِّينَ، إِنَّهُ بِكُرِّ الْحَلِيقَةِ كُلِّهَا، وَهُوَ ابْنُ اللَّهِ، لَكِنَّهُ لَيْسَ اللَّهُ". وَهُوَ حَاوَلَ أَنْ يُثَبِّتَ انْطِلَاقًا مِنَ اللُّغَةِ الْيُونَانِيَّةِ أَنَّ لُغَةَ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّتِي تَصِفُ اللَّهَ أَوْ الَّتِي تَصِفُ الْمَسِيحَ عَلَى أَنَّهُ مَوْلُودٌ، اللُّغَةُ الْيُونَانِيَّةُ تَعْنِي "أَنْ يَكُونَ، أَنْ يُنَجِّبَ، أَوْ أَنْ يُحْدِثَ"، مَا يَعْنِي ضَمْنًا - لَا سِيمَا مِنَ النَّاحِيَةِ الْبَيْوُولُوجِيَّةِ - أَنَّ لَدَيْهِ بَدَايَةَ فِي الزَّمَنِ. وَكُلُّ مَا لَهُ بَدَايَةُ فِي الزَّمَنِ أَقَلُّ شَأْنًا مِنَ اللَّهِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ لِلَّهِ بَدَايَةُ فِي الزَّمَنِ. لَيْسَ اللَّهُ مَوْلُودًا بِهَذَا الْمَعْنَى لِأَنَّهُ أَرِيٌّ.

إِذَا، انْطِلَاقًا مِنَ اللُّغَةِ الْكِتَابِيَّةِ أَصَرَ أَرِيُوسُ عَلَى أَنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ لَمْ يُعَلِّمْ أَنَّ الْمَسِيحَ إِلَهٌ بِالْكَامِلِ، مَا أَدَّى فِي نِهَايَةِ الْمَطَافِ إِلَى عَقْدِ مَجْمَعِ نِيَقِيَّةَ، وَإِلَى عَمَلِ أُنْتَانَسِيُوسَ، وَإِلَى الصِّرَاعِ الْقَائِمِ بَيْنَ ثَلَاثَةِ فِرَقٍ: الْفَرِيقُ الـ"هُومُوي أوسوس"، وَالْفَرِيقُ الـ"هُومُ أوسوس"، وَالْفَرِيقُ الْأُنْتَانَسِيُوسِي، إِلَى آخِرِهِ. إِنَّهَا لِدِرَاسَةٍ مُذْهِلَةٍ فِي تَارِيخِ الْكَنِيسَةِ أَنْ نَرَى الصِّرَاعَ الَّذِي مَرَّتْ بِهِ الْكَنِيسَةُ فِي بَدَايَةِ الْقُرْنِ الرَّابِعِ. لَكِنَّ فِي مَجْمَعِ نِيَقِيَّةَ، الَّذِي نَتَجَّ عَنْهُ قَانُونُ الْإِيمَانِ النَّيَقَاوِي، تَمَّ اعْتِبَارُ الْأَرِيُوسِيَّةِ هَرْطَقَةً. وَقَانُونُ الْإِيمَانِ النَّيَقَاوِي يُعْلِنُ مَا يَلِي: "الْمَسِيحُ مَوْلُودٌ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ". وَالْكَنِيسَةُ أَكَّدَتْ فِي نِيَقِيَّةَ عَلَى أَنَّ الْمَسِيحَ شَرِيكَ لِلآبِ فِي الْجَوْهَرِ وَالسَّرْمَدِيَّةِ، أَيْ أَنَّ الْكَنِيسَةَ كَانَتْ تَقُولُ إِنَّهُ عِنْدَمَا يَتِمُّ اسْتِعْمَالُ كَلِمَةِ الْوِلَادَةِ أَوْ الْبُكُورِيَّةِ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ فَلَا مَرُّ يَتَعَلَّقُ بِمَكَانَةِ الشَّرَفِ وَلَيْسَ بِالْأَصْلِ الْبَيْوُولُوجِي كَمَا فِي اللُّغَةِ الْيُونَانِيَّةِ. أَحْيَانًا، لَا تُحْسِنُ اللُّغَةُ الْيُونَانِيَّةُ نَقْلَ الْمَفَاهِيمِ الْعِبْرِيَّةِ الَّتِي يُفْتَرَضُ بِهَا أَنْ تُنْقَلَهَا فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ.

إِذَا، الْكَنِيسَةُ تَدِينُ أَرِيُوسَ بِوُضُوحٍ، وَإِدَانَتْهَا لِأَرِيُوسَ كَانَتْ إِدَانَةً لِلْمُصْطَلِحِ "هُومُوي أوسوس". وَالآنَ، يَسْتَعْمِلُ قَانُونُ الْإِيمَانِ النَّيَقَاوِي الْكَلِمَةَ نَفْسَهَا الَّتِي اعْتَبَرَتْهَا الْكَنِيسَةُ فِي الْعَامِ ٢٦٧، وَسِيَلَةَ اخْتِبَارِ الْعَقِيدَةِ الْمَسِيحِيَّةِ الْقَوِيْمَةَ "هُومُ أوسوس". لِمَاذَا فَعَلَتْ الْكَنِيسَةُ ذَلِكَ؟ يُمْكِنُكَ الْقَوْلُ "لَمْ تَكُنِ الْكَنِيسَةُ ثَابِتَةً عَلَى مَبْدَأٍ وَاحِدٍ، كَانَتْ الْكَنِيسَةُ مُتَقَلِّبَةً"، إِلَى آخِرِهِ. لَا، الْهَرْطَقَةُ الَّتِي هَدَدَتْ مَفْهُومَ الْكَنِيسَةِ لِلْمَسِيحِ فِي الْقُرْنِ الثَّالِثِ تَمَّ إِبْعَادُهَا. وَالتَّهْدِيدُ الْجَدِيدُ لِلْأَرِيُوسِيَّةِ كَانَ أَكْبَرَ بِكَثِيرٍ مِنْ تَهْدِيدِ السَّابِلِيَانِيَّةِ. وَكَانَ أَرِيُوسُ يُحَاوِلُ التَّسْتُرَ وَرَاءَ الْمُصْطَلِحِ "هُومُوي"، مُسْتَعْمِلًا إِيَّاهُ بِطَرِيقَةٍ مُخْتَلِفَةٍ تَمَامًا عَمَّا قَصَدَتْهُ الْكَنِيسَةُ بِهِ فِي أَنْطَاكِيَّةِ. وَهَذَا مَا يُحْدِثُ مَعَ الْمُهْرَطِقِينَ طَوَالَ الْوَقْتِ، إِنَّهُمْ يَأْخُذُونَ اللُّغَةَ الْقَوِيْمَةَ وَيُضْفُونَ عَلَيْهَا مَعْنَى آخَرَ لِتَحْرِيفِ حَقِّ الْمَسِيحِيَّةِ.

إِذَا، مَا عَلَيْنَا إِدْرَاكُهُ هُوَ أَنَّ كَنِيسَةَ الْقُرْنِ الرَّابِعِ اعْتَبَرَتْ تَهْدِيدَ الْأَرِيُوسِيَّةِ خَطِيرًا جَدًّا عَلَى مَسِيحِيَّةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، حَتَّى إِنَّهَا رَجَعَتْ إِلَى مُصْطَلِحِ سَبَقَ لَهَا أَنْ رَفَضَتْهُ لِكَيْ تُبَيِّنَ أَنَّ كَيْفَمَا فَهَمْنَا الْمَسِيحَ وَالرُّوحَ الْقُدُسَ، هُمَا جَوْهَرُ اللَّهِ وَالْأَلُوْهِيَّةِ، وَأَنَّ الْمَسِيحَ وَالرُّوحَ الْقُدُسَ هُمَا "هُومُ أوسوس"، أَيْ يَمْلِكَانِ الْجَوْهَرَ وَالْكِيانَ نَفْسَهُ كَمَا

الآب. وَهَنَا نَصَلُ إِلَى الْفِكْرَةِ الَّتِي تُفِيدُ بِوُضُوحٍ بِأَنَّ اللَّهَ، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ ثَلَاثَةُ أَقَانِيمَ، هُوَ وَاحِدٌ فِي الْجَوْهَرِ، وَوَاحِدٌ فِي الْاُوسِيُوسِ".

الدُّكْتُورُ آر. سي. سِنْرُولُ هُوَ مُؤَسَّسُ هَيْئَةِ خَدَمَاتِ لِيْجُونِيْرِ، وَكَانَ أَحَدَ رُعَاةِ كَنِيسَةِ الْقِدِّيسِ أَنْدْرُو (St. Andrews Chapel) فِي مَدِينَةِ سَانْفُورْدِ بُولَايَةِ فُلُورِيدَا، كَمَا كَانَ أَوَّلَ رَئِيسِ لِكَلِّيَّةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِلِإِصْلَاحِ (Reformation Bible College). وَهُوَ مُؤَلِّفٌ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كِتَابٍ، بِمَا فِي ذَلِكَ "كُنَّا لَاهَوْتِيُونَ" و"أَدَهَشَنِي الْأَلَمُ".